المقتطف

الجزء الثاني عشر من السنة الثانية عشرة

١ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٨ = ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٠٥

تاريخ الخواتم

دارسَ كتابِ الطبيعة ومستجلِيَ ما فيها من الاسرار. انظر خمائلها وقد لبست حلل السندس وتحلّت بالدرّ والنضار

من شقيقٍ واقحوانٍ وورد ... وخزامى ونرجسٍ وبهارِ
فبياضٌ في حمرةٍ في سوادٍ ... في اصفرارٍ في زرقةٍ في اخضرارِ
زهرةٌ عند زهرةٍ عند أُخرى ... كاقتران الدينار بالدينارِ
او كاوراق متحف من لجينٍ ... مذهّبات الاخماس والاعشارِ

واشجارها ناشرات الصحوف واثمارها دانيات القطوف

من جلّنارٍ مشرقٍ ... على اعالي شجرَهْ
كأنّهُ في غصنهِ ... احمرَهُ واصفرَهْ
قراضةٌ من ذهبٍ ... في خرقة معصفرَهْ

وليمونٍ كأنّهُ أكرٌ من فضةٍ خُرطتْ ... واستودعوها غلافاً صيغَ من ذهبِ
وسفرجلٍ كالراح طعماً وشمّ المسك رائحةً ... والتبر لوناً وشكل البدر تدويرا
والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤ ... رطبٌ بصافحة النسيم فيسقطُ
والطير تقرأ والغدير صحيفةٌ ... والريح تكتبُ والغمامُ ينقّطُ
والديك يحيي موات الليل تغريدا ... ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

لما تطرّب هزّ العطف من طرَبٍ ومدّ للصوت لمّا مدّهُ الجيدا
كلابس مطرفًا سرخٍ ذوائبهُ تضاحك البيض من اطرافهِ السودا
حالي المقلّدِ لو قيست قلائدهُ بالورد قصّرَ عنهُ الوردُ توريدا

كأنّ انو شروان اعطاهُ ناجهُ وناط عليهِ كفّ ماربة القرطا
سمى حلة الطاووس حصنُ لباسهِ ولم يكفهِ حتى سمى المشيةَ البطّا

وكلُّ ما في الارض من نبات وحيوان يميل الى التجمّل والتحلي ولا يستثنى من ذلك الانسان ربّ العقل والنهى . فازهار النبات والوان الثمار وتبرقش الطيور وترقّط الحيوان كل ذلك بمثابة الحلى التي يتحلى بها نوع الانسان

والحلى مختلفة الانواع والاشكال ولكن الخواتم اسهلها لبسًا واكثرها شيوعًا فان العقود والاساور والخلاخيل تعيق لابسها عن الحركة او تتقطع وتضيع . والقلائد والاقراص ونحو ذلك من الحلى التي تلبس فوق الثياب او فوق الراس يضطر لابسها ان يخلعها وقت المنام . والاقراط والخزائم تؤلم لابسها ولا تسلم من الفقدان . واما الخاتم فلا يضطر لابسهُ ان يخلعهُ من اصبعهِ لا في يقظة ولا في منام ولا يجد فيهِ ما يعيقهُ عن العمل ولا يضيع ولا يؤلم الاصبع فهو حلية دائمة وتحلٍّ بهِ سهل ولذلك شاع استعمالهُ اكثر من كل الحلى وعمّ الرجال الذين لا يهتمون بالزينة كما عمّ النساء ولقد احسن من قال "وتمامُ حسن الكفّ لبس الخاتم"

والخواتم قديمة جدًّا فقد جاء في تقاليد اليهود ان توبال قايين الثامن من آدم هو اول مَن صنعها . والاشوريون والمصريون القدماء استعملوها من اول عهدهم . وقد وُجد في قبور المصريين كثير من خواتم الذهب والفضة والنحاس والعاج والخزف . والظاهر انهم كانوا يلبسونها في كل اصبع من اصابعهم حتى الابهام . ومن الغريب ان اسم الخاتم بالمصرية مثل اسمهِ بالعبرية فان لم يكن التمدن العبري قديمًا كالتمدن المصري فالاسم مصري لا عبري

واتُّخذ الخاتم رمزًا للسلطة من قديم الزمان كما ترى في قصة يوسف الصدّيق فان فرعون البسهُ خاتمهُ لمّا قلّدهُ خطّة الوزارة الاولى . وكذلك اعطى احشويروش ملك فارس خاتمهُ لهامان الاجاجي لما فوّض اليهِ قتل اليهود ثم استردّهُ منهُ واعطاهُ لمردخاي اليهودي . وكان اليهود يتوارثون الخواتم ابًا عن جدٍّ

ولم يذكر هوميروس الخواتم مع انهُ ذكر الاقراط وغيرها من انواع الحلى ولم يفرّط بشيء فاتّخذ ذلك بعضهم دليلًا على ان اليونان الى عهدهِ لم يكونوا يعرفون الخواتم . ثم ذكرها الكتّاب

الذين جاءوا بعده بقليل وشاع استعمالها بين اليونان حتى صار كلُّ حرٍّ منهم يلبس خاتمًا وكانوا يرصعونها بالحجارة الكريمة . ويقال ان الرومانيين اقتبسوا لبسها من الصابيين الذين كانوا يسكنون الى الشمال الشرقي من رومية . وكانت خواتمهم في اول امرها للختم فقط وكانت تصاغ من الحديد وجاز لكل روماني حرٍّ ان يلبس خاتمًا منها . وفي اوائل الجمهورية الرومانية كان السفراء يلبسون خواتم الذهب ويعدونها من لباسهم الرسمي ثم شاع لبسها عند اعضاء مجلس النوّاب والقضاة واتّصل منهم الى غيرهم الى ان اطلق الامبراطور يوستنيانوس لبسها لكل روماني . واسرف الرومانيون في لبسها حتى كان بعضهم يلبس خاتمًا او اكثر في كل اصبع من اصابعه ويالغوا ايضًا في اثمانها حتى بلغ ثمن الخاتم منها ستين الف دينار

وكان العرب يتختمون بالخواتم من عهد بعيد جدًّا وقد رأينا نصًّا مكتوبًا بالحميرية وجد في ضواحي دمشق ولا يبعد انه من بداءة دولة الغساسنة . وذكر السلامي ان الرسول كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية الى اليسار واخذ الامويّة بذلك ثم نقله السفّاح الى اليمين فبقي الى ايام الرشيد فنقله الى اليسار واخذ الناس بذلك . وبلغ عمر ابن عبد العزيز ان ابنه اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمتُ عليك ألّا ما بعتَ خاتمك بالف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعملْ خاتمًا من ورق (اي فضة) وانقش عليه "رَحِمَ الله امرءًا عرف نفسه" . وكان خاتم الامام علي من ورق (فضة) ونقشه "نعم القادر الله" .

ونقش الخواتم قديم العهد جدًّا فقد ذكر في التوراة ان الحجارة الكريمة التي كانت في صدرة هرون نقشت عليها اسماء الاسباط وواحد منها يشبه ان يكون الماسًا . وفيثاغورس الفيلسوف الذي كان في القرن السابع قبل المسيح كان ابوهُ نقّاشًا للحجارة الكريمة

وكان القدماء من المصريين والاشوريين والفينيقيين واليونانيين والرومانيين ومن جاء بعدهم ينقشون على خواتمهم نقوشًا مختلفة من صور اشخاص وحيوانات ورموز اخرى ويبرعوا في ذلك حتى لم يفهم المتأخرون

لدينا الآن خاتم ذهب على فصه صورة طائر من الطيور المصرية الدينيّة لم نرَ ابدع منه نقشًا . وقد وُجد في ناوس من الرصاص استدللنا من نقوشه انه من ايام البطالسة حين امتزجت العقائد المصريّة بالعقائد اليونانية ووافقنا على ذلك الاستاذ سايس الشهير . والغريب من امر هذا الخاتم وامر كثير من هذه الخواتم الذهبيّة القديمة ان دائرته اهليلجيّة لا توافق استدارة الاصبع وفي ظننا انه استطال من قيامه على حرفه اكثر من اثني سنة وضغط التراب عليه

واشهر الرموز التي استعملت لها الخواتم الرمز الى عنق الزجاجة . ولا يُعلَم اول من استعملها

هذه الغاية ولكن الاسرائيليين استعملوها لما من عهد قديم جدًّا. وربما اقتبسوا ذلك من المصريين القدماء اذ ان الدائرة عند المصريين القدماء رمز الى الدوام فلا يبعد انهم اتخذوها رمزًا الى رباط الزيجة . واليونانيون والرومانيون استعملوا الخاتم في اعراسهم رمزًا الى عقد الزيجة وكانوا يلبسونه في السبّابة اي الاصبع التي تلي الابهام

وفي العصور الوسطى بالغ الناس في قيمة خاتم الزواج في جرمانيا وفرنسا فكانوا يبتاعونه بالاثمان الفاحشة ثم تغيّرت الحال فاقتصروا في خاتم الزواج على حلقة من الذهب ولكن بقي التأنّق في خاتم الخطبة الى يومنا هذا فيرصّع بالحجارة الكريمة على حسب مقدرة الخطيب . وفي المتحف البريطاني خواتم قديمة من خواتم الزواج بعضها ذهب وبعضها فضة او حديد او قصدير او رصاص او نحاس او صنّر او عاج او عظم . وعلى واحد منها وهو من عظم صورة قلب الانسان وهو من الآثار القديمة التي وجدت في مجبرات سويسرا . وعلى آخر وهو من العاج صورة يدين متصافحتين وهذا من الآثار المصرية . وعلى آخر وهو من الحديد صورة يد منقبضة فوق قلب وهو من الآثار الرومانية

وفي ايام التنجيم كان الجرمانيون ينقشون على خواتم الزيجة صور مطالع النجوم وما فيها من السعد او يصوغونها مجوفة ويضمون في جوفها العقاقير الطيّبة على سبيل الرقى والتعاويذ لجلب الخير ودفع الشر

وفي القرن الرابع عشر للميلاد اشار احد الايطاليين باختيار النصوص لخواتم الزيجة على حسب الشهر الذي ولدت فيه العروس فان ولدت في شهر جنفيه (ك ٢) فالحجر الجادي فانه يزيد تعلق احبابها بها. وان ولدت في فتريه (ش) فالجمشت فانه يقوي فيها الاخلاص ويقيها من السموم ومن السنة النائمين . وان ولدت في مارس (اذار) فحجر الدم فانه يعطيها الحكمة والطاقة على احتمال اتعاب البيت . وان ولدت في ابريل (نيسان) فالالماس فانه يطهر قلبها وينقيه . وان ولدت في مايو (ايار) فالزمرّد فانه يُسعِدُها . وان ولدت في يونيو (حزيران) فالبشم فانه يحفظ صحتها ويقيها من الجن والغيلان. وان ولدت في يوليو (تموز) فالياقوت الاحمر فانه يقيها من غيرة زوجها. وان ولدت في اوغسطس (آب) فالعقيق فانه يسعدها في اولادها. وان وُلدت في سبتمبر (ايلول) فالياقوت الاسمانجوني فانه يمنع الخصام من بينها . وان ولدت في اكتوبر (ت ١) فالسيلان فانه يقوي الحب . وان ولدت في نوفمبر (ت ٢) فالياقوت الاصفر فانه يجعلها امينة مطيعة لزوجها. وان ولدت في دسمبر (ك ١) فالفيروز او الفيروزج فانه حرز العنّة. وشاعت هذه الخرافة في اوربا وعمل الناس بها وكان الزوج في فرنسا يهدي عروسه اثني

عشر خاتمًا لكي تختم بخاتم منها كل شهر. ولم يزل الجرمانيون يرصعون خاتم الخطبة بالفيروز الى يومنا هذا وعندهم ان المحبة تثبت ما دام لونه ثابتًا. ويقول كتّاب العرب الخواتم اربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة (اي للحمل) والحديد الصيني للحرز او للخوف. وكل ذلك مما لا يعتدّ به في هذا الزمان

والافرنج يعتبرون خاتم الزيجة شديد الاعتبار وبعض الانكليز لا يعتبرون الزيجة ثابتة ما لم يكن فيها خاتم ولو لم يكن مصوغًا ليلبس في الاصبع فقد ذكر انهم عند عدم وجود خاتم يستخدمون مفتاح الكنيسة او حلقة الستار او نحو ذلك مما فيه دائرة مفرغة. والارلنديون لا يحسبون الزيجة صحيحة ما لم يكن فيها خاتم ذهب فالفقراء منهم يستأجرون خاتمًا من الصاغة لهذه الغاية. والمرأة الجرمانية لا تخلع خاتم الزيجة من يدها ولو مات زوجها وقد تلبسه ولو تزوجت بآخر. ذكر بعضهم انه رأى امرأة جرمانية وفي يدها اربعة خواتم من خواتم الزيجة لاربعة ازواج توفوا. وعند بعضهم ان انكسار خاتم الزيجة يدل على قرب موت احد الزوجين

واختلف الناس في الاصبع التي يلبسون فيها خاتم الزيجة والشائع اليوم انه يلبس في البنصر من اليد اليسرى وهي الاصبع التي تلي الخنصر. ويقال ان سبب ذلك وجود شريان او ورید او عصب يتصل من هذه الاصبع الى القلب رأسًا. ولا صحة لذلك. وذهب مكروبيوس الروماني الى ان الخواتم كانت تلبس في اليدين كلتيهما على حدٍّ سوى ثم لما ضار الناس يرصعونها بالحجارة الكريمة وينقشون عليها النقوش البديعة فخصوها باليد اليسرى لكي تسلم من الآفات ولهذا السبب عينه لبسوها في البنصر لان الابهام كثير الحركة والاستعمال والسبابة مكشوفة من ناحية الابهام والوسطى غليظة والخنصر صغيرة جدًّا ومكشوفة واما البنصر فمعتدلة الغلظ ونقيها الخنصر من جهة والوسطى من اخرى فهي انسب الاصابع للبس الخاتم. وتمتاز هذه الاصبع بانها لا يسهل بسطها منفردة مثل غيرها من الاصابع كما يظهر بالامتحان فيقل تعرّض الخاتم للآفات

وكما استعمل الخاتم للزينة والسيادة استعمل ايضًا للختم واستعماله لذلك قديم جدًّا كما يستدل من اسمو المصري وما ذكر عنه في اقوال سليمان الحكيم. وكان تزوير الختم عند المصريين القدماء جريمة كبيرة كما يظهر من ذكرهم بين الجرائم التي تنبرأ النفس منها يوم المعاد. وقد أُشير الى تزوير الختم في ايام صولون الحكيم الذي كان في القرن السابع قبل المسيح

هذا وجملة القول ان الميل الى الزينة فطري في الانسان وكل المخلوقات الحيّة تشاركه في ذلك وان الخواتم من اقدم الحلى واكثرها شيوعًا وانها استعملت من قديم الزمان للزينة والختم واستعملت ايضًا علامة للسيادة والزيجة ولم تزل مستعملة لهذه الغايات الى يومنا هذا